الجامعة المستنصرية

كلية الاداب - قسم التاريخ

محاضرة 13

اسم المادة: (السيرة النبوية)

الدراسة: الصباحية والمسائية

ا.د. حنان رضا الكعبي

د. عادل الشرع

تنظيمات الصحيفة:

1. الامة الواحدة وأهل المدينة:

ان الامة في المدينة قد تشكلت من المهاجرين والانصار لكنها لم تقتصر عليهم بل اتسعت لتشمل من تبعهم وجاهد معهم وبذلك قد شملت الصحيفة المشركين من الاوس والخزرج كما عدت الصحيفة يهود بني عوف وغيرهم من اليهود المتحالفين مع بطون الاوس والخزرج أمة مع المؤمنين، لانهم قد إرتضوا ان يعيشوا في اطار الامة على وفق المبأدئ التي جاءت بها الصحيفة.

وقد جعلت الصحيفة الامة في اطار سياسي مفتوح لانضمام كل الافراد والجماعات التي ترتضي الحياة في اطارها، لذلك فسحت مجال النمو لتتحول إلى دولة تضم معظم القبائل العربية في أواخر حياة الرسول (ﷺ) ثم اتسعت في عهد الخلفاء الراشدين إلى دولة عالمية تضم شعوبا وقبائل متنوعة تعيش في إطار النظام الاسلامي.

2. التنظيم القبلي والامة:

لم تلغي الصحيفة النظام القبلي الذي كان يعيش الناس في إطاره منذ زمن بعيد بل انها اعترفت به اساسا تقوم عليه التزامات الافراد الاجتماعية والسياسية والاقتصادية، وحاولت في الوقت نفسه تعديلة وتشذيبه ليتفق مع فكرة الامة الواحدة، ونصت الصحيفة على بقاء التزامات العشائر على ما كانت عليه سابقا من حيث تكامل افراد كل عشيرة في دفع فدية أسراها ودية من يرتكبون جناية من افرادها.

3.الامة وحقوق الافراد:

نظمت الصحيفة حقوق الافراد والتزاماتهم في المجتمع فنصت على ان جميع افراد الامة متساوون في حق منح الجوار، الا ان الصحيفة قيدت هذا الحق بالنسبة للمشركين من افراد الامة، وذلك لان مشركي قريش كانوا في حالة حرب مع المسلمين. كما اكدت الصحيفة على احترامها لحقوق الولاء، كما تنص على ان لاياثم أمرؤ بحليفه وذلك

لتاكيد المسؤولية الفردية في المجتمع، فلا يحاسب الفرد الا على اعماله ولا يؤخذ بجريرة غيره كما كان في ظل القيم القبلية القائمة على العصبية الذي كان قائما على مناصرة القبيلة لابنائها ظالمين كانوا او مظلومين.

4. الامة والقبائل اليهودية:

تعاملت الصحيفة مع اليهود في المدينة بصفتهم احدى الفئات التي تتكون منها الامة، الا ان الصحيفة لم تشر اليهم بحسب انتماءاتهم القبلية الخاصة كبني قنيقاع وبني النضير وبني قريظة، وانما اشارت اليهم بصفتهم حلفاء لبطون الخزرج والاوس، كما اعترفت الصحيفة لليهود ومواليهم حرية ممارسة عقيدتهم كما ضمنت لهم مبداء المسئولية الفردية بالنسبة لليهود، فاذا ارتكب احدهم جريمة او عدوانا على احد فان مسؤولية ذلك العمل تقع على عاتقه وحدة. كما على اليهود وجوب معاونة المسلمين ضد من يحاربهم، وعدم منح الجوار لقريش ولا من نصرها ،ومن واجبهم ايضا محاربة من دهم يثرب.

5. سلطات الرسول (ﷺ) في قيادة الامة:

لقد نصت الصحيفة على ان صاحب السيادة في المدينة هو الله تعالى لانه صاحب الكلمة الفصل، اما الرسول (ﷺ) فهو صاحب السلطة التنفيذية التي تدير امور المجتمع وتوجهها على وفق اوامر الله ونواهيه، ان سلطة فض النزاعات التي تحصل بين ابناء الامة والحكم في الخلافات التي تحصل بين مختلف العشائر المدنية قد اصبحت على وفق احكام الصحيفة من اختصاص الرسول (ﷺ) الذي يحكم فيها وفق لاوامر الله تعالى، ومن هنا وجدن سلطة قضائية تعمل على حسم المنازعات بين الافراد والجماعات وتمنع الناس من تسوية منازعاتهم بأنفسهم عن طريق الثأر والثأر المقابل لذا فقد اكدت الصحيفة على ضرورة ايقاع القصاص على الجاني من قبل الجماعة على وفق مبادئ الحق والعدل، لقد استهدفت الصحيفة تحقيق السلام في ربوع المدينة من خلال تنظيم العلاقات بين اهل المدينة على اساس من المساواة والعدل، ولم تقتصر سلطات الرسول (ﷺ) على مسائل التحكيم والقضاء بل امتدت إلى الامور التنفيذية وبخاصة ما يتصل منها بالجوانب العسكرية فقد كانت الامة في بداية تكوينها وهي بحاجة ماسة إلى القوة العسكرية

المنظمة للدفاع عن نفسها ومحاربة اعدائها، كما جعلت الصحيفة امر اعلان الحرب او الدخول في السلم من صلاحيات الرسول (ﷺ).

دولة المدينة وتشريع الجهاد: في سبيل الله

أمضى الرسول (ﷺ) ثلاث عشرة سنة في مكة وهو يدعو الناس للإيمان بالإسلام بالحكمة والموعظة الحسنة، ولم يفكر باللجوء إلى القوة حتى بعد أن لجأت إليها قريش، فأخذت تضطهد المسلمين، وتعذب المستضعفين منهم.

ولم يكن سبب دعوة الرسول (ﷺ) لأصحابه بالصبر على أذى المشركين واضطهادهم عدم الإيمان باستخدام القوة عند الضرورة للدفاع عن النفس، وإنما كان سببها مراعاة الظروف العملية التي كانت تعيش في إطارها الجماعة الإسلامية الناشئة حيث لم تكن تملك من وسائل القوة ما يمكنها من مجابهة عدوان المشركين، لذا فقد كان من الطبيعي أن يبدأ موقف الرسول (ﷺ) من هذه المسألة بالتغير حينما نجح في اكتساب تأييد أهل المدينة للدعوة ومبايعتهم له بيعة العقبة الثانية التي عرفت ببيعة الحرب كما أوضحنا ذلك في الفصل الرابع.

لقد أخذ القرآن الكريم في أواخر الفترة المكية يهيئ أذهان المسلمين لاحتمال استعمال القوة ضد من يعتدي عليهم ويضطهدهم بسبب عقيدتهم، بل إن القرآن الكريم عد مقاومة البغي والرد على العدوان بالقوة صفة من صفات الجماعة الإسلامية مثل إقامة الصلاة وإدارة أمورهم عن طريق الشورى جاء في سورة الشورى التي هي من أواخر السور المكية: (وَالذِينَ استَجَابُوا لِرَبِّهِمْ وَأقامُوا الصّلوٰة وَأمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ وَمِمّا رَزَقنَاهُمْ يُنفِقونَ وَالذِينَ إذَا أصَابَهُمُ البَغْى هُمْ يَنتَصِرُونَ وَجَزَاؤُا سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثلهَا فمَنْ عَفا وَأصْلحَ فأجْرُهُ عَلى اللهِ إنّهُ لا يُحِبّ الظالِمِينَ وَلمَن انتَصَرَ بَعْدَ ظلمِهِ فأولبك مَا عَليهِم مّن سَبِيل) سورة الشورى الاية(38-41).

وقد أعقب نزول هذه الآيات التي هيأت أذهان المسلمين لرد العدوان نزول الآيات التي تأذن للمسلمين بقتال المشركين دفاعا عن حرية العقيدة. يقول ابن إسحاق: "فكان أول آية في إذنه له في الحرب، وإحلاله له الدماء والقتال لمن بغي عليه" قوله تعالى: (أذِنَ لِلذِينَ

يُقتَلونَ بِأنّهُمْ ظلِمُوا وَإنّ اللهَ عَلى نَصْرهِمْ لقدِيرُ الذِينَ أخْرجُوا من ديرهِم بِغَيْر حَق إلا أن يَقولوا رَبّنَا اللهُ وَلوْلا دَفعُ اللهِ النّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْض قدَمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكرُ فِيهَا اسْمُ اللهِ كثِيراً وَلينَصرُنَ اللهُ مَن يَنصرُهُ إنّ اللهَ لقويّ عَزيزٌ الذِينَ إن مُكتَهُمْ فِي الأرْض أقامُوا الصّلوَة وَاتَموُا الزّكوٰة وَأمَرُوا بِالمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَن المُنكر وَلِلهِ عَاقِبَة الأمُور) سورة الحج الاية:32-41.

لقد كان معنى الآيات المتقدمة كما يذكر ابن إسحاق أن الله تعالى قد أحل للمسلمين القتال "لأنهم ظلموا، ولم يكن لهم ذنب فيما بينهم وبين الناس، إلا أن يعبدوا الله، وأنهم إذا ظهروا أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة، وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر".

في ضوء ما تقدم فقد هاجر الرسول (ﷺ) وأصحابه المكيين إلى المدينة، وهم موقنون بأنهم قد ظلموا من قبل قومهم من مشركي مكة، وأن من حقهم أن يستخدموا القوة في الرد على ظالميهم وضمان حرية الدعوة والعقيدة للناس، لذا فقد تضمنت الصحيفة التي أعلنها الرسول (ﷺ) في المدينة العديد من النصوص التي تعد مشركي مكة الأعداء الرئيسيين للأمة، وتحرم على أهل الصحيفة منح الجوار لهم أو لتجارتهم، كما تضمنت بعض النصوص التي تؤكد وجوب تضامن أهل المدينة في حالات الحرب. وفي الدفاع عن المدينة.

ومن ثم، ما كاد الرسول (ﷺ) ينتهي من وضع التنظيمات الداخلية لدولة المدينة حتى توجه لتنظيم سياستها الخارجية، وكانت تتلخص في محاولة عزل قريش عن حلفائها من القبائل العربية المقيمة بالقرب من المدينة وذلك بالتحالف معها وتوثيق الصلات بها، وقد تمثلت سياسة الرسول (ﷺ) في هذا المجال في استخدام القوة والمناورة بها من أجل تحقيق الأهداف الآنفة الذكر، وقد عرفت أعمال الرسول (ﷺ) في هذا المجال عند كتاب السيرة النبوية بالسرايا والغزوات التي كانت تعمل على تحقيق الأهداف الآتية:

1. كانت القبائل البدوية التي تعيش حول المدينة، أو على الطريق بين المدينة ومكة مثل قبيلة ضمرة وجهينة وغفار، تحترم القوة، وتقيم علاقاتها مع مختلف الأطراف على هذا الأساس، لذا فقد أراد الرسول (ﷺ) أن يستعرض أمامها ما لديه من قوة من أجل

حملها على التحالف معه، أو فك ارتباطات التحالف مع قريش واتخاذ موقف محايد بينهما.

2. لقد بدأت قريش المسلمين بالعدوان، وأخرجتهم من ديارهم وكانت لا تزال مصرة على سياستها في اضطهاد المستضعفين من المسلمين المقيمين في مكة وتحريض القبائل العربية على الرسول (ﷺ) ودولته في المدينة، لذا أراد الرسول (ﷺ) من تنظيمه للغزوات والسرايا أن يفرض نوعا من الضغط الاقتصادي على مكة من خلال التعرض لقوافلها التجارية المتجهة إلى الشمال عسى أن يحملها ذلك على إعادة النظر في موقفها من المسلمين.

3. كان المهاجرون يعانون من ضائقة اقتصادية شديدة وذلك لمصادرة قريش لأموالهم عند الهجرة لذا فقد أراد الرسول (ﷺ) من توجيههم للمساهمة في الغزوات والسرايا أن يعوضهم عما أصابهم بمصادرة قوافل قريش التجارية، وبذلك تتحسن أحوالهم الاقتصادية.

4. إن ضعف الجبهة الداخلية في المدينة، كان يتطلب أن يعمل الرسول (ﷺ) على إشعار الأطراف القلقة في المدينة كاليهود والمشركين من الأوس والخزرج، أنه قوي، ويمتلك الوسائل التي تمكنه من مجابهة خصومه عند الحرب والمنازلة كي يأخذوا ذلك بنظر الاعتبار، فلا يفكروا بالخروج على سلطته.

يتضح مما تقدم أن الرسول (ﷺ) قد اتجه إلى استعمال القوة (السرايا والغزوات) لأعتبارات دفاعية عادلة تتصل برد العدوان والسعي لحماية حرية العقيدة، وإذا كانت هذه الأعمال قد اتخذت طابع الهجوم في بعض الأحيان لأسباب عسكرية.

وبذلك حبب إلى نفوسهم الشهادة وجعلهم ينظرون إليها بصفتها هدفا ساميا يعلو على الأهداف الدنيوية المباشرة، ومن ثم فقد أقبلوا على الجهاد على الرغم مما فيه من تضحية بأعز ما يملكه الإنسان: (كُتِبَ عَلَيْكمُ القِتَالُ وَهُوَ كرْهٌ لكمْ وَعَسَى أن تَكرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيرٌ لكمْ وَعَسَى أن تُحِبّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرّ لكمْ وَاللهُ يَعْلمُ وَأنتُمْ لا تَعْلمُونَ).